

خطة البحث

المقدمة.

العرض.

الفصل الأول: التعريف بمدينة مازونة.

1- تأسيسها.

2- اسمها في أعماق التاريخ.

3- المدرسة الفقهية بمازونة صرح علمي.

الفصل الثاني: التعريف بالشيخ محمد أبو طالب بن عبد الرحمن.

1- نسبه.

2- التربص بمولده.

3- الشيخ و حلقاته العلمية المتميزة.

4- شيخ مازونة المجاهد.

الخاتمة.

الملاحق.

المصادر و المراجع.

مقدمة

أثناء النزول العثماني بالجزائر، جلبت مازونة أنظار الأتراك بسبب موقعها الجغرافي الهام، وطاقاتها الاقتصادية، وسمعتها الفكرية و الأدبية، فموجب التنظيم الإداري الذي عرفته الجزائر سنة 1562 و القاضي بتقسيم البلاد إلى 3 مقاطعات عرفت (بالبايليك)، منها بايليك الغرب و عاصمته مازونة و هناك رسالة من داي الجزائر إلى أهل مازونة كأكبر دليل على ذلك¹.

انطلاقا من هذا يذكر المؤرخ مسلم عبد القادر بعض الحملات التي قام بها أهالي المنطقة نحو وهران للجهاد ضد التواجد الاسباني مثل التي قام بها " حسن باشا عام 1568 و التي قام بها مصطفى بوشلاغم عام 1708"²، فخلال العهد العثماني رمت و وسعت مدرستها ليتوافد عليها العديد من الطلبة الى حوالي 700 طالب³.

¹ انظر الملحق.

² نسخة من بحث محقق من طرف المؤرخ " مسلم بن عبد القادر " ص 20.

³ مجلة " غليزان أحداث " العدد 08 جوان 1995 ص 11

التعريف بمدينة مازونة:

1- تأسيسها:

تأسيسها غامض لكن ما هو متفق عليه أن "تأسيسها يعود إلى الرومان"⁴ على حد تعبير "مارمول" و الدليل على هذا قد برهن عنه المؤرخون بوجود أثار و قطع من النقود الرومانية بالمنطقة، حيث نجد هذا الأخير قد صال و جال بالمغرب العربي في ق 16 و اعتمد في حكمه على ما "رآه من الآثار الرومانية و اللوحات المنقوشة"⁵.

و وصفها بالتفصيل المؤرخ الإدريسي المتوفى سنة 548 هـ إذ تحدث عن "أنهارها و بساطينها الخلابة و أسواقها العامرة و مساكنها الجميلة مما يؤكد أن المدينة كانت عامرة و قد عرفت تطورا"⁶ منذ قرون خلت.

إذ أن البحوث الأيكولوجية، تؤكد هذا، كما نجد "ابن خلدون أقر لنا أن مازونة قد أسسها عبد الرحمن منديل رئيس (مغراوة)* في القرن 12 تقريبا"⁷ و أسست على حد قول أبو راس في حوالي 565⁸.

كما يؤكد لنا بن يوسف الزياتي أن "مازونة حطمت سنة 665 مما يؤكد وجودها قبل هذا التاريخ"⁹.

لكن في الحقيقة هذا كله يسوده نوع من الغموض و كأن المدن العتيقة مثل مازونة غيورة على سمعتها لذا فهي تخفي أسرارها إلى الأبد.

MARMOLE CARVJAL.Discription générale d'Africa. P54⁴

MARMOLE CARVJAL. P52⁵

⁶ الإدريسي- وصف إفريقيا الشمالية ع / نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. صححه و نشره هنري بيرس ط الجزائر 1957 ص 142

⁷ مبارك الميلي- تاريخ الجزائر ع/ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق.

⁸ أبو راس الناصري- فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي -تح / محمد بن عبد الكريم. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1990. ص 46.

⁹ محمد بن يوسف الزياتي- دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران- تح/ المهدي البوعبدلي- الجزائر -1978م ص 55

*مغراوة قبيلة بربرية تنتمي إلى الزناتة.

2- اسم مازونة في أعماق تاريخها:

كثرت الروايات حول تسميتها كذلك فهناك ما قد نجده في الكتب و هناك ما يروى للحفدة أبا عن جد و ها نحن نصنفها حسب اقترابها من الحقيقة و الواقع:

- 1) مازونة تعني: أرض الرجال الأقوياء .
- 2) نابعة من كلمة (مسن) بلدة رومانية نسبة إلى ملك روماني اسمه " مسن " و أخوه "مديونة"¹⁰.
- 3) يحكى أنه كانت تحكمها ملكة لها كنز ذهبي اسمها (موزونة) و كان لها راع اسمه (ماتع) إذ بعودته إلى أعله وصف لهم جمال (موزونة) فلقب آنذاك بما/ زونة.
- 4) و قد يكون اسمها مشتق من " مازون " جد قبيلة بن زناتة¹¹.
- 5) لكن ما روي للحفدة عن الأجداد على لسانهم أن (ملكا حظ رحاله أثناء مروره بأعالي جبال المنطقة برفقة ابنته المسماة (زونة) و رجاله، فطلب منهم إحضار الماء لها، إذ بإيجادهم المنبع حرموه على الغير وصولا إلى "ماء+ زونة" فخص لها وحدها دون غيرها)¹².

3- المدرسة الفقهية بمازونة صرح علمي:

اشتهرت مازونة منذ أقدم العصور بمدرستها الدينية المتخصصة في الدراسات الفقهية، كما أنها عرفت بكثرة مجالسها و نجابة طلبتها و قريحة أشياخها، و لعل أهم شيوخها محمد أبو طالب بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الشارف المازوني ، و منهم كذلك محمد بن علي السنوسي، و منهم من (حاضر فيها و درس بها أمثال:

- الشيخ القطب المشهور سيدي محمد الميسوم
- الشيخ الكتاني (مدرس بمدينة فاس المغربية)
- الشيخ بلغيث و الشيخ بسودة المغربي..... و غيرهم كثيرون، حيث منهم من هو من قسنطينة و وجدة و ندرومة و تلمسان و الغزوات.....)¹³.

¹⁰ محمد بن يوسف الزيياتي-تح/ البوعبدلي-ص 55 -ص 56 .

¹¹ نفس المرجع.ص 57/56.

¹² MOULEY BELHAMISSI-Histoire de Mazouna.Imp- les presses de la société nationale d'édition et de la diffusion .Alger .1982 p 21.

¹³ مولاي بلحميسي- دور مازونة في الحركة العلمية و الثقافية من منتصف القرن 15 الى منتصف القرن الحالي-1976 ص6-ص14.

و الكل حسب تخصصه،(فمنهم من عمد على شرح مختصر الخليل و منهم من عمل على القضاء و الأحكام و البعض الآخر يشتغل على الفرائض)¹⁴ .

و لقد عمدت هذه المدرسة بمسجدها على أنه جزء منه سنة 1029هـ على يد سيدي محمد بن الشارف و(درس هذا الأخير به 64 سنة إلى أن توفي سنة 1164 و خلفه نجله الذي ترك هذا الأخير خلفه ابنه محمد أبو طالب عبد الرحمن و ابنه سيدي هني)¹⁵، فالمدرسة مازالت تحتفظ بالجزء الثاني من صحيح مسلم كمخطوط أهدها (ألباي عثمان) سنة 1212 هـ لشيخ المدرسة، كما أنها لا زالت تحتفظ بخزانة من المخطوطات الثمينة (الأصلية) التي أمكننا معاينتها كسنة أجزاء كبيرة الحجم لشرح صحيح البخاري و مسلم، كما أنها لا زالت تحتفظ على مقعد أثري تركي قديم¹⁶ .

التعريف بالشيخ محمد أبو طالب بن عبد الرحمن:

1-نسبه:

هو شيخ المدرسة و المعروف باسم الشارف المازوني و هو من أشهر شيوخ المنطقة على أنه الوريث الشرعي للمدرسة، أسرته معروفة بالشرف لا تزال عائلة هني الى يومنا هذا تحتفظ بشجرته الشريفة و هي على النحو التالي:

(أبو طالب محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن منصور بن محمد ابن عمر البلداوي ابن محمد بن عبد الله بن موسى بن مسعود ابن الحسن بن سليمان بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن أحمد بن إدريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه و سلم)¹⁷ . و هناك نسخة من إحدى أوراق المخطوط المتعلقة بالأصول¹⁸ .

¹⁴ أبوراس الناصري- فتح الإله-ص20.

¹⁵ جنان الطاهر- مازونة عاصمة الظهرة / ثغر حربي و مركز إشعاع حضاري-ط مكتبة الرشاد للطبع و النشر و التوزيع- الجزائر-2005-ص93.

¹⁶ أنظر الملحق

¹⁷ مخطوط ج2. كتاب الأصل المازوني (مخطوط بالمدرسة).

¹⁸ انظر الملحق

2-التريص بميلاده:

إلا أن المصادر المتاحة لنا و المتوفرة لا تذكر تاريخ ميلاد الشيخ أبو طالب محمد بن عبد الرحمن المازوني بالضبط، و لكنها تتفق على تاريخ وفاته و هو عام 1233هـ، كما تذكر نفس المصادر أنه توفي عن عمر يناهز 130 عاما، فقد كان من المعمرين و بعملية حسابية بسيطة

يمكننا ترجيح ميلاده إلى سنة 1103هـ و هذا ما يؤكد الشيخ السنوسي المكي قائلا:
(كان مولد أبي طالب على ما أخبرني به أحد أصحابه أواخر المائة الحادية عشر أو مقارب الأول الثانية)¹⁹. و تعلم مبادئ القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم على يد والده علي محمد بن عبد الرحمن، و ذلك بمدرسة مازونة، و هي المدرسة التي أسسها جده الأعلى محمد بن الشارف سنة 1029هـ، هذه المدرسة المتكونة من (مسجد جامع للصلاة إضافة إلى بعض المواقف التابعة له، و التي كانت تستعمل لإيواء الطلبة.

ثم تلقى عن شيوخ مازونة التي بلغت شهرتها في ذلك الوقت الأفاق، و صفت بكونها مازونة بلد الفقه بالقطر الجزائري، و اشتهر شيوخها بالتخصص، فبعضهم تخصص في شرح مختصر خليل و البعض في القضاء و الأحكام و البعض الآخر مقصور على الفرائض، و كل مشهور و معروف بتخصصه و لا يعرف سواه، إلا أن المقصور عليه هو حجة فيها كما قال أبوراس الناصري.

كما تلقى رواية الحديث النبوي الشريف و إسناده عن الكثير من علماء العصر، اشرهم شيخ الجماعة بالجزائر أبو عبد الله محمد ابن جعدون، كان يروى عنه ثبته المعروف، كما كان يروى عن الشيخ ابن علي الزواوي.

3- الشيخ و حلقاته العلمية المتميزة:

و على اعتبار أن أبا طالب محمد بن علي المازوني هو الوريث الشرعي لمدرسة مازونة التي ورثها أبا عن جد، فقد نصب فيها للتدريس مبكرا، و كانت له حلقة علمية متميزة حافلة بالطلبة، و كان يدرس طلبته الفقه، مختصر خليل، و شرحي الخرخشي و الزرقاني، كما كان يدرسه الرقائق و رواية الحديث و حفظ السند.

¹⁹ الشيخ السنوسي المكي (مخطوط)/البذور السافرة.

و قد تعجب أبوراس الناصري من حلقة شيخه أبو طالب المازوني و من كثرة تلاميذه و من شعبيته و حب الناس له و إقبالهم عليه، لكنه مع ذلك في كفاءة تلاميذه و في طريقة تدريسه.

و قد تخرج على يد أبي طالب علماء كثيرون لعل أشهرهم: أبوراس الناصري العسكري صاحب التأليف الكثيرة التي جاوزت المائة، و صاحب كتابي عجائب الأسفار و الحل الهندسية و غيرهما، و من تلاميذه محمد بن علي السنوسي نزيل جغوب بليبيا أخذ عنه في الفقه و روى عنه ثبته المعروف، و من أشهرهم أيضا عدة بن غلام الله محمد الميسوم أحمد بن الشارف بن تكوك و غيرهم.

اشتهر محمد أبو طالب المازوني بقله النتاج و التأليف و لا نعرف أنه قد ترك آثارا مكتوبة ما عدا حاشية علي الخراشي، كما ساهم الشيخ محمد بن علي أبو طالب في محاربة الغزو الصليبي الاسباني، ففي سنة 1205هـ جند الباي التركي محمد الكبير باي معسكر آنذاك عسكره و وضع العلماء في طليعة المحاربين ضد الأسبان، لأنه كان يعرف مكانة العلماء لدى العامة، و قد أضاف الباي محمد الكبير إلى قيادة الرباط، و جعله أميرا على الطلبة، رفقة الشيخين محمد بن الموفق بوجلال، و الطاهر بن حوى القاضي بمعسكر، خاصة و أن الطلبة أصبحوا يشكلون فرقة عسكرية كبيرة.

4-شيخ مازونة المجاهد:

مما لا شك فيه أن وجود العلماء على رأس الجيش المحارب، و مساهمتهم في الجهاد بأنفسهم و ليس عن طريق الكلام و الشعر و التأييد المعنوي، كان يشجع الجنود و العامة على الاقتداء بهم، و الارتقاء في أحضان المعركة بكل حماس و جدية، و كانت نتيجة ذلك تحرير وهران، "و كان مطاعا عند الطلبة مهابا بينهم ما أمر بشيء إلا امتثلوه و لا عن غيره إلا اجتنبوه"²⁰.

كما شارك محمد علي أبو طالب مع ابنه سيدي هني في معركة ضد الاسبان، وقعت بمسرغين، و قد أصيب هذا الأخير بجروح خطيرة أدت إلى وفاته في المكان المسمى الآن "بوهني" الواقع ما بين سيق و محمدية، و قد نقل جثمان الفقيد إلى مازونة و دفن فيها. و تكريما للشيخ أبو طالب على مساهمته و مساهمة طلبته في تحرير البلاد من الاستعمار الاسباني، فان الدولة الجزائرية في العهد التركي قامت بتجديد بناء المدارس الفقهية التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا بمدينة مازونة بولاية غليزان، تقوم بدورها بتدريس العلوم الدينية

²⁰ تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي.

المختلفة، كما تحتفظ هذه المدرسة بخزانة من المخطوطات، يشرف عليها أحفاده ابنا عن أب من بينهم هني بن علي الذي أفادنا بأن المدرسة الفقهية ما زالت تحتفظ بجزء من صحيح مسلم، أهده الباي عثمان سنة 1212هـ للفقيد الصالح المعمر محمد بن علي السنوسي، و كثيرا من علماء البلاد و فقهاءها.

الخاتمة

ليس الغرض من هذه الورقة التعرض للتاريخ الطويل و الحافل بالأحداث لمدينة «مازونة» و يقتصر القول على أنها بلدة غريقة عتيقة أسست في قلب جبال الظهرة من الرومان في موقع متميز وافر المياه كثير الغابات متحصن يراقب الطريق بين الشرق و الغرب و لهذا كله رنا إليها حكام المغرب عبر العصور حتى مستها حروب تكاد لا تنتهي فعانت من التصارع أيام ملوك إفريقيا و المرابطين و الموحيدين و بنو زيان. أصحاب تلمسان ثم أتراك الجزائر الذين خطو منها أول بايلك لهم في غرب البلاد، و بعدهم قام الأمير عبد القادر و أرادها، و هناك رسالة منها إلى أهل " مديونة"²¹. ثم الفرنسيون في بداية الاحتلال. و أثناء هذه الأحقاب نزل بها أعلام و أقطاب من المسلمين و غيرهمحسب ما جاء في كتاباتهم و رحلاتهم ، و من (أهم من وقف بمازونة " ابن القفون القسنطيني" في القرن 6 ه الموافق لـ 12م و المغربي " محمد العبيدي" في القرن 7ه الموافق لـ 13م و كذا الحال بالنسبة لـ"ابن بطوطة" القرن 8ه الموافق لـ 14م)²².

²¹ أنظر الملحق.

²² ابن بطوطة/ رحلته المسماة - تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار- د.ط. ص 657.

المصادر و المراجع:

- 1-الإدريسي- وصف إفريقيا الشمالية ع / نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. صححه و نشره هنري بيرس ط الجزائر 1957.
- 2- ابن بطوطة/ رحلته المسماة - تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار- دار صادر-بيروت- د.ط..
- 3-جنان الطاهر- مازونة عاصمة الظهرة / ثغر حربي و مركز إشعاع حضاري-ط مكتبة الرشاد للطبع و النشر و التوزيع- الجزائر-2005-
- 4-ابوراس الناصري- فتح الإله و متنه في التحدث بفضل ربي و نعمته -تح / محمد بن عبد الكريم الجزائري. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1990.
- 5-مبارك الميلي بن محمد- تاريخ الجزائر في القديم و الحديث. تق- محمد الميلي جزان ع/ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق.
- 6-محمد بن يوسف الزياني- دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران- تح/ المهدي البوعبدلي- الجزائر -1978م.
- 7-مولاي بلحميسي- دور مازونة في الحركة العلمية و الثقافية من منتصف القرن 15 الى منتصف القرن الحالي-1976.

المجلات و المقالات:

- 1-مجلة "عليان أحداث" العدد 08 جوان 1995 ص 11.
- 2-نسخة من بحث محقق من طرف المؤرخ " مسلم بن عبد القادر" ص 20.
- 3- بحث من تحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي.

الكتب الأجنبية:

- 1-MARMOLE CARVJAL.Discription générale d'Africa1573(tard franc-Perrot d'blencour) Paris-1867-03vol.
- 2-MOULEY BELHAMISSI-Histoire de Mazouna.Imp- les presses de la société nationale d'édition et de la diffusion .Alger .1982.

المخطوطات:

- 1-الشيخ السنوسي المكي (مخطوط)/ البذور السافرة.
- 2-مخطوط ج.2. كتاب الأصل المازوني (مخطوط بالمدرسة).